

{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } * { وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا }
* { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } (1-3)

قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم يدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم، فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم، فقال: ما تقولون في قول الله عز و جل: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ }؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله، و نستغفره، إذا نصرنا و فتح علينا، و سكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أأذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه و سلم أعلمه له، قال: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ } فذلك علامة أجلك { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول، تفرد به البخاري. و روى ابن جرير عن محمد بن حميد عن مهران عن الثوري عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس، فذكر مثل هذه القصة أو نحوها.

و قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ } قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " نعت إلي نفسي " فإنه مقبوض في تلك السنة، تفرد به أحمد و روى العوفي عن ابن عباس مثله، و هكذا قال مجاهد و أبو العالية و الضحاك و غير واحد: إنها

أجل رسول الله صلى الله عليه و سلم نعي إليه. و قال ابن جرير: حدثني إسماعيل بن موسى، حدثنا الحسن بن عيسى الحنفي، عن معمر عن الزهري عن أبي حزم عن ابن عباس قال: بينما رسول الله صلى الله عليه و سلم في المدينة إذ قال: **" الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله و الفتح جاء أهل اليمن - قيل: يا رسول الله و ما أهل اليمن؟ قال: - قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، و الفقه يمان، و الحكمة يمانية "** ثم رواه ابن عبد الأعلى عن ابن ثور عن معمر عن عكرمة مرسلًا.

و قال الطبراني: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا أبو كامل الجحدري، حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ} حتى ختم السورة قال: نعت لرسول الله صلى الله عليه و سلم نفسه حين نزلت، قال: فأخذ بأشد ما كان قط اجتهاداً في أمر الآخرة، و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد ذلك:

" جاء الفتح و نصر الله، و جاء أهل اليمن " فقال رجل: يا رسول الله و ما أهل اليمن؟ قال: **" قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، و الفقه يمان "** و قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس قال: لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ} علم النبي صلى الله عليه و سلم أنه قد نعت إليه نفسه، فقيل: إذا جاء نصر الله و الفتح السورة كلها، حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين: أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ} قال: لما نزلت، نعت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم نفسه.

و قال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر اللوكيعي، حدثنا أبي، حدثنا جعفر بن عون عن أبي العميس، عن أبي بكر بن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ}. و قال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: لما نزلت هذه السورة: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ} قرأها رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى ختمها، فقال: " **الناس خير، و أنا وأصحابي خير. و قال: لا هجرة بعد الفتح، و لكن جهاد و نية** " فقال له مروان: كذبت، و عنده رافع بن خديج و زيد بن ثابت قاعدان معه على السرير، فقال أبو سعيد: لو شاء هذان لحدثاك، و لكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه، و هذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة، فرفع مروان عليه الدرة ليضربه، فلما رأيا ذلك، قالوا: صدق. تفرد به أحمد.

و هذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر، فقد ثبت من رواية ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال يوم الفتح: " **لا هجرة، و لكن جهاد و نية، و لكن إذا استنفرتم فانفروا** " أخرجه البخاري و مسلم في صحيحهما، فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنهم أجمعين من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن و الحصون، أن نحمد الله و نشكره و نسبحه، يعني: نصلي له و نستغفره، معنى مليح صحيح، و قد ثبت له شاهد من صلاة النبي صلى الله عليه و سلم يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات، فقال قائلون: هي صلاة الضحى، و أجيئوا بأنه لم يكن يواظب عليها، فكيف صلاها ذلك اليوم، و قد كان مسافراً لم ينو الإقامة بمكة، و لهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريباً من تسعة عشر يوماً، يقصر

الصلاة، و يفطر هو و جميع الجيش، و كانوا نحواً من عشرة آلاف، قال هؤلاء: و إنما كانت صلاة الفتح.

قالوا: فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلداً أن يصلي فيه أول ما يدخله ثماني ركعات، و هكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن، ثم قال بعضهم: يصلها كلها بتسليمة واحدة، و الصحيح أنه يسلم من كل ركعتين؛ كما ورد في سنن أبي داود: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين، و أما ما فسر به ابن عباس و عمر رضي الله تعالى عنهما من أن هذه السورة نعي فيها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم روحه الكريمة، و اعلم أنك إذا فتحت مكة، و هي قريتك التي أخرجتك، و دخل الناس في دين الله أفواجاً، فقد فُوح شغلنا بك في الدنيا، فنهياً للقلوم علينا، و الوفود إلينا، فالآخرة خير لك من الدنيا، و لسوف يعطيك ربك فترضى، و لهذا قال: { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا }.

قال النسائي أخبرنا عمرو بن منصور، حدثنا محمد بن محبوب، حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ } إلى آخر السورة، قال: نعت لرسول الله صلى الله عليه و سلم نفسه حين أنزلت، فأخذ في أشد ما كان اجتهاداً في أمر الآخرة، و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد ذلك: " **جاء الفتح، و جاء نصر الله، و جاء أهل اليمن** " فقال رجل: يا رسول الله و ما أهل اليمن؟ قال: " **قوم رقيقة قلوبهم، لينة قلوبهم، الإيمان يمان، و الحكمة يمانية، و الفقه يمان** " و قال البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكثر أن يقول في ركوعه و سجوده: " **سبحانك اللهم ربنا و بحمدك**،

اللهم اغفر لي " يتأول القرآن. و أخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي من حديث منصور به.

و قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال: قالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكثر في آخر أمره من قوله: **"سبحان الله و بحمده، أستغفر الله و أتوب إليه "** و قال: **" إن ربي كان أخبرني أنني سأرى علامة في أمي، و أمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده، و أستغفره إنه كان تواباً، فقد رأيتها: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا }** و رواه مسلم من طريق داود بن أبي هند به. و قال ابن جرير: حدثنا أبو السائب، حدثنا حفص، حدثنا عاصم عن الشعبي، عن أم سلمة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم في آخر أمره لا يقوم و لا يقعد، و لا يذهب و لا يجيء، إلا قال:

"سبحان الله و بحمده" فقلت: يا رسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله و بحمده، لا تذهب و لا تجيء و لا تقوم و لا تقعد إلا قلت: سبحان الله و بحمده قال: **"إني أمرت بها"** فقال: **{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ }** إلى آخر السورة، غريب، و قد كتبنا حديث كفرة المجلس من جميع طرقه و ألفاظه في جزء مفرد، فيكتب ههنا.

و قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم **{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ }** كان يكثر إذا قرأها و ركع أن يقول: **"سبحانك اللهم ربنا و بحمدك، اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم"** ثلاثاً. تفرد به أحمد. و رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن

عمرو بن مرة عن شعبة عن أبي إسحاق به، و المراد بالفتح ههنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه، فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة، دخلوا في دين الله أفواجاً، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً، و لم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، و لله الحمد و المنة.

و قد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح، بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: دعوه و قومه، فإن ظهر عليهم، فهو نبي. الحديث، و قد حررنا غزوة الفتح في كتابنا «السيرة» فمن أراد فليراجعه هناك، و لله الحمد و المنة. و قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق عن الأوزاعي، حدثني أبو عمار، حدثني جابر بن عبد الله قال: قدمت من سفر، فجاءني جابر بن عبد الله فسلم علي، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس، و ما أحدثوا، فجعل جابر يبكي، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: **"إن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً، و سيخرجون منه أفواجاً"** آخر تفسير سورة النصر، و لله الحمد و المنة.